الفصل الأول:

الدنمارك
حديقة أوروبا وبقرتها الحلوب!!

الدنمارك بوابة أسكندنافيا علي العالم:

لا أستطيع أن أحصي عدد المرات التي زرت فيها الدنمارك، بدءاً من زيارتي الأولي لها في مطلع الثمانينات، خاصة مدينة كوبنهاغن التي ألفتها أكثر من أية مدينة ولعل أهم سبب لترددي علي مدينة كوبنهاغن هو أن هذه المدينة تعتبر بوابة دول الشمال والدول الأسكندنافية علي أوروبا والعالم والعكس، إذ أن ظروفًا كثيرة كانت تضطرني أن أتردد علي مدينة "مالمو" بجنوب السويد، وكوبنهاغن هي أسهل وأقصر وسيلة لزيارة المدينة السويدية التي سيرد ذكرها في الفصل الأخير من هذا الكتاب.

زرت مدينة كوبنهاغن عاصمة الدنمارك لأول مرة بالقطار وكنت قادماً من مدينة هامبورغ الألمانية، إستغرقت الرحلة حوالي ٦ ساعات بين المروج الخضر وأبقار الفريزيان والمنازل الريفية الأنيقة في كلا الجانبين: الألماني والدنماركي ثم توالت بعد ذلك زياراتي للمدينة براً وبحراً وجواً ولو كانت هناك وسيلة أخرى لإستخدمتها، يطلق أهل كوبنهاغن علي مدينتهم باللغة الدنماركية اسم "كوبنهافن" وتعني المرفأ التجاري، وتقع علي جزيرتي "زيلاند" و "أما جر" وتنقسم إلي قسمين رئيسيين يصل بينهما الميناء الذي يُعتبر أحد أكبر موانئ أوروبا والعالم، خاصة وأن الدنمارك تشهر فيما تشتهر بصناعة السفن وهي صناعة متقدمة جداً ومتطورة ولها تصاميم مميزة منها مثلا إبتكار الدنماركيين لوسيلة أو أسلوب تم فيه تخفيض استهلاك السفن للوقود بمقدار الثلثين، أي أنه تم توفير ثلث الوقود وهو إنجاز فذ لا، يقدر قيمته سوي أصحاب السفن وربابنتها ومهندسيها.

آخر زيارة قمت بها للدنمارك كانت في هذه السنة أي منذ فترة وجيزة، ولقد لاحظت أثناء تجوالي في مطارها الأنيق تغييراً كبيراً فيه، إن مطارها يُعتبر مدينة متكاملة توفرت فيها- أو فيه- مختلف الخدمات التي يحتاجها الزائر أو العابر، توقفت مرة وأنا في طريق

عودتي من أمريكا الجنوبية في مطار كوبنهاغن لمدة ليلة واحدة، وصلت المطار مرهقاً في فترة بعد الظهر وقررت عدم مغادرته إلي المدينة لعدم حصولي علي تأشيرة الدخول توجهت إلي غُرف الإستراحة، وهي غُرف علي هيئة فندق داخل المطار يستأجرها المسافر أو العابر للراحة، وتختلف عن الفندق بأن فترة إيجار هذه الغرف لمدة ٨ ساعات وليس بنظام الليلة، أي أن المسافر عليه أن يدفع في اليوم الواحد للغرفة ما يعادل ثلاثة ليال في أي فندق، ولا توجد خدمة في هذه الغرف، إلا أنه تتوفر خدمة الإستحمام والراحة.

طلبت غرفة من موظفة الإستقبال، ورغم أن الموسم السياحي في ذروته وكان في فصل الصيف، إلا أنني كنت الساكن الوحيد في نُزُل المطار هذا، أخذت غفوة ثم استيقظت في التاسعة مساء، ولقد عَنَّ لي أن أتفقد الركاب وأتناول القهوة ثم أتمشي في طرقات المطار التمضية الوقت حتى اليوم التالي موعد إقلاعي مرة أخرى إلي جهتي النهائية، أخذت المصعد إلي الطابق الرئيسي للمطار، حيث أن الطابق السفلي يحتوي علي النزُل والحمامات وأماكن الاستحمام والحلاقة والتدليك والكثير من الخدمات مثل العيادة والطبيب المناوب التي قد يحتاجها المسافر أو العابر.

وصلت الطابق الرئيسي الذي كان يعج بالناس أثناء وصولي وجدت فيه جميع المحلات مغلقة ولا أثر لأي شخص عامل أو مسافر وقد أطفئت الأنوار، إلا من أضواء خافته لقد عجبت للأمر، وأخذت أبحث عن أي مكان أتناول فيه القهوة التي لا أستطيع الإستغناء عنها أثناء السفر ولكن لا فائدة، كل شئ وكل محل كان مغلقاً، لمحت من بعيد مكتباً للعابرين أو ما يُطلق عليه "مكتب ترانزيت" جلست خلفه سيدة بدت مشغولة ببعض الأوراق التي كانت أمامها، توجهت إليها مباشرة، سمعت وقع خطواتي فوق الرخام المصقول انتبهت لي ثم ابتسمت وقالت: أهلاً بالمقيم الوحيد في فندق المطار! قلت

لها كيف عرفتي إنني أنا المقيم الوحيد وأنا لا أعرف هذا، قالت بحكم عملي في هذا المكتب أعرف ذلك، ولكن هل من خدمة أقدمها إليك؟ قلت: إنني أعجب من أمر هذا المطار، وكان مفعماً بالحياة والحركة والناس وغداً الآن موحشاً إنني أبحث عن مقهى أتناول فيه القهوة أو مكتبة لعلني أجد جريدة أو مجلة أتسلي بها، قالت: أن المطار مغلق الآن كالعادة في مثل هذا الوقت، إننا شعب مرفه يا سيدي، إن الناس هنا تزعجهم أصوات الطائرات بالليل لذا فأنهم صوتوا لصالح توقف حركة الطيران أثناء الليل ومن ثم عدلت خطوط الطيران من مواعيدها حتى تصل وتغادر بالنهار وليس لك إلا العودة إلي غرفتك.

لقد جربت شيئاً كهذا في مطار أمستردام الدولي أو كما يسمونه "مطار شخيبول" حيث أنه تتوقف فيه حركة الطائرات ليلاً وحركة المغادرين والقادمين ولقد جربت فيه الإقامة لمدة ليلة واحدة، ولكن علي الأقل وجدت فيه مقهي واحداً كان مفتوحاً طوال الليل والعديد من المسافرين الذين إتخذوا من المقاعد أسرة نوم لهم طوال الليل إلي حين مغادرتهم إلي الجهات التي يقصدونها بينما أقمت أنا في إحدى غرف الفندق بالمطار الذي تُحتسب الإقامة فيه علي عدد الساعات وهي ٨ ساعات كما هو الحال في مطار كوبنهاغن

يتكون مطار كوبنهاغن أو مطار "كاستروب" كما يطلقون عليه، من بوابات عدة تربط بينها ممرات حيث يدخل الركاب مباشرة من الطائرة إلي تلك الممرات، في الشتاء يبدو المطار مع المدرج أبيضا ناصع البياض بفعل الثلج المنهمر ورغم البرودة الشديدة في الخارج إلا أن المطار يمتاز بتدفئة متطورة ونظراً لسعة المطار من الداخل وتباعد الممرات أو مهابط الطائرات عن بعضها وعن بوابة الدخول الرئيسية فإنهم يستخدمون عربات داخلية لنقل الركاب المسنين أو المعوقين من مكان إلي آخر وتعمل هذه العربات بواسطة "البطاريات

الكهربائية" التي يتم شحنها بين الآونة والأخرى وهي بالتالي لا تصدر ضجيجاً أو تلوثاً وتمر بيننا خلسة لا نسمع لها حسيساً وتتابعها الأعين ربما إعجاباً بها أو بسائقتها الفاتنة والتي تبادل إبسامات المتجولين بإبتسامة أعذب وأشهى وتتوفر في المطار عند كل مدخل طائرة عربات اليد لكي يريح عليها المسافرين أثقالهم التي يحملونها بأيديهم أو علي أكتافهم ومن ثم يدفعون بهذه العربات أمامهم، وكثيراً ما تحمل هذه العربات إضافة إلي حقائب اليد أطفالاً ركبوها إما تعباً أو شقاوة.

وتتوفر في المطار المطاعم والمشارب والمقاهي والمحلات المختلفة التي تبيع مختلف أنواع السلع بدءاً بالهدايا التذكارية الصغيرة وانتهاء بالمجوهرات والحقائب والبذلات وربما السيارات، كما تتوفر أيضاً خدمات الصرافة والبنوك وشراء تذاكر السفر والحلاقة والمكتبات التي تبيع مختلف أنواع الكتب والمجلات والجرائد، وتصل إليها الجرائد العربية الدولية في نفس يوم صدورها نظراً لخدمة التوزيع المتطورة بين دول أوروبا هذا إضافة إلي مقهى علي شكل حديقة غناء من نباتات الظل الباسقة خلف واجهة زجاجية كبيرة تتخللها أشعة الشمس التي تضفي علي المكان دفئاً ونوراً.

كنت أتصفح أثناء طيراني من أمريكا إلى كوبنهاغن مجلة أمريكية كتبت موضوعا مُطولا عن الأسواق الحرة في بعض مطارات العالم وعقدت مقارنة بين حوالي عشرة مطارات، كان مطار دبي هو المطار العربي الوحيد في تلك المقارنة، عرضت المجلة خلال تلك المقارنة أسعار العديد من السلع كالعطور والساعات والملابس وغيرها ولقد وجدت أن مطار دبي هو أرخص هذه المطارات جميعا ومطار كوبنهاغن واحد من أغلى المطارات التي وردت في تلك المقارنة.

إجراءات الدخول إلى المدينة سهلة للغاية إذا كان الزائر يحمل معه تاشيرة دخول بيانات إستمارة الدخول سهلة ومختصرة ومكتوبة بعدة لغات منها اللغة العربية، مواطني دول، إسكندنافيا لا يحملون جوازات سفر بل تكفي البطاقة للتنقل، كما أن ضابط الجوازات يستطيع تمييزهم بواسطة شعورهم الصفراء وعيونهم الزرق بل إنهم لا يبرزون حتى بطاقاتهم، إستلام الحقائب لا يستغرق سوى دقائق.

ورغم المرات العديدة التي مررت فيها من خلال البوابة الخضراء الجمركية، إلا أنني لم أتوقف قط لرجال الجمارك ولم يطلب مني أحد أبدا أن أفتح حقائبي بل لم يحدث أن كلمني أحد منهم رغم هيئتي التي تدل على أنني أجنبي، وهناك مخرجان أحدهما أخضر لمن ليس لديه ما يصرح به والآخر أحمر وبالطبع الجميع يتجنب المرور من البوابة الحمراء.

كوبنهاغن .. أقدم عواصم أوروبا

لم يعد في مقدوري أن أحصي عدد مرات زيارتي للمدينة، لقد تجاوزت العشرات أَلِفتَها إلى درجة كبيرة، أعرف جميع مسالكها ودروبها، آخر مرة زرتها كانت في فصل الشتاء، الجليد يلف المدينة العابثة برداء أبيض فتبدو من خلاله كسيدة وقورة أو راهبة متبتلة، أخرج من مبنى المطار فأجد أمامي أنواعا شتى من وسائل المواصلات صفوف من سيارات الأجرة وهي الأغلى أجراً، المدينة تبعد عن المطار حوالي ٢٦ كيلا وهي المسافة من المطار إلى محطة القطارات التي تقع في قلب العاصمة.

هناك حافلات تابعة لشركة "ساس" وهي شركة الطيران الإسكندنافية التي تساهم فيها الدنمارك والسويد والنرويج، وتنقل هذه الحافلات القادمين إلى محطة القطار بسعر يعادل عُشر أجرة "التاكسي" إن لم يكن أقل وتغادر كل ١٠-١٥ دقيقة وهي أرخص وسيلة للإنتقال إلى قلب العاصمة وهي وسيلتي المفضلة، هناك أيضا حافلات أخرى لنقل الركاب إلى السويد أو بالأحرى إلى جنوب السويد وهذه سوف نتحدث عنها في الفصل التالي.

كوبنهاغن – أو كوبنهافن كما يُطلق عليها أهلها- هي أقدم عواصم أوروبا أسسها "بيشوب أبسالون" سنة ١١٦٧ ميلادية، بنيت فيها الحصون بدءا من القرن الثاني عشر حيث منحت حقوق المدينة في سنة ١٢٥٤، ثم أصبحت عاصمة للدنمارك في سنة ١٤٤٣ ثم بلغت أوج إزدهارها في عهد الملك "كريستيان الرابع" في الفترة من ١٥٨٨-١٦٤٨، حاصرها السويديون في الفترة من ١٥٥٨-١٥٥٩، وعقدت معاهدة بين الدنمارك والسويد سنة ١٦٦٠ سميت معاهدة كوبنهاغن، قصفتها الأساطيل الإنجليزية والسويدية والهولندية سنة ١٧٠٠ داهمتها حرائق كثيرة عامي ١٧٢٨ و ١٧٩٥، عاود البريطانيون مهاجمتها حيث دمر

الأسطول الإنجليزي بقيادة الأدميرال نيلسون الأسطول الدنماركي سنة ١٨٠١ في معركة كوبنهاغن، ثم قذفوها بالقنابل سنة ١٨٠٧ وكادوا يدمروها تماما، هاجمها الألمان واحتلوها في الحرب العالمية الثانية بعد أن رفضت تسليم اسطولها رغم إعلان حيادها في الحرب تأسست جامعتها سنة ١٤٧٩. يبلغ عدد سكانها في الوقت الحاضر حوالي مليون ونصف نسمة.

تعتبر كوبنهاغن واحدة من العواصم العالمية، التي تكثر فيها وتتنوع الجاليات، فمعظم سائقي سيارات الأجرة من الباكستانيين والأتراك كما توجد فيها جالية عربية كبيرة وجالية يهودية مؤثرة، كما توجد فيها بنوك عربية وإسلامية وشركات إسلامية وعربية كثيرة خاصة في مجال الاستثمار الغذائي، الزراعي منه والحيواني حيث تتم تربية الدواجن واللحوم التي يزعمون أنهم يذبحونها على الطريقة الإسلامية ثم يصدرونها إلى دول العالم الإسلامي!! ولقد حدثني العديد من العرب المقيمين هناك أن حكاية الذبح الإسلامي ما هي إلا تلفيق وإدعاء أن لم تكن كلها فمعظمها والله أعلم. مع العلم أن القانون الدنماركي لا يمنع الذبح على الطريقة الإسلامية كما يمنعه القانون السويدي مثلا وتلك قضية أخرى

وصف "هانز كريستان إندرسون" أديب الدنمارك الكبير مدينة كوبنهاغن بأنها "أرض طيور اللقالق" التي كانت منتشرة بكثرة في زمنه ولم يبقى منها في الوقت الحاضر سوى عدد قليل تعيش في محميات. أشهر معالمها ميدان "إما لينبورغ" الذي يقع في قلب المدينة بين تمثال حورية البحر من جهة والمركز التجاري من جهة أخرى، وتقع على هذا الميدان قصور أربعة شيدت سنة ١٧٤٩ في عهد الملك كريستان السابع الذي اتخذها مقرا للحكم في سنة ١٧٩٤ بعد أن إحترق قصره الخاص في كريستانسبرغ والذي أُعيد ترميمه وأصبح

يستعمل الآن مقراً لمجلس النواب، ويصل بين قصرين من هذه القصور ممر خاص بالملك الذي أراد أن ينتقل بينهما بحرية.

وتتخذ ملكة الدنمارك (الملكة مارغريت الثانية) إثنين من هذه القصور حاليا كمقر للحكم وإقامة الأسرة المالكة، بينما خُصص مقر آخر للإدارة الحكومية، وتزين هذه القصور تماثيل نادرة، وتتفرع عن الميدان عدة طرق وشوارع لا تستخدمها السيارات إلا نادرا.

ويتوسط الميدان بين القصور الأربعة تمثال شاهق يمثل الملك فريدريك الخامس ممتطيا صهوة حصانه صممه المثّال الدنماركي "جاك سالي" عام ١٧٧١، ويقال أنه تكلف ضعف تكلفة بناء القصور الأربعة رغم أنه يبدو ضئيلا مقارنة بها.

من ضمن المعالم السياحية التي يزخر بها الميدان وأكثرها جاذبية بالنسبة للسياح هو تغيير الحرس الملكي في الساعة الثانية عشر ظهرا، حيث يخرج الحرس من ثكناتهم الملاصقة لقصر روزنبرغ إلى وسط الميدان وهم يرتدون الزّي التقليدي الذي هو عبارة عن بناطيل زرقاء فاتحة بخطين بيض على الجانبين وسترَت زرقاء داكنة يتقاطع حولها حزَمان أبيضان وغطاء للرأس من فرو أشبه ما يكون بغطاء الرأس الذي يرتديه الحرس الملكي الإنجليزي، هذا في المناسبات العادية أو اليومية، أما في المناسبات الملكية الخاصة فهم يرتدون سترَت حمراء تصحبهم في كل الأحوال فرقة موسيقية.

بالقرب من ميدان "إماليبنورغ" وقصور الأربعة يوجد متحف للفن الزخرفي ومتحف آخر يسمي متحف التحرير الذي افتتح سنة ١٩٦١ ويحوي أنواعا مختلفة من الأسلحة التي استخدمتها المقاومة الدنماركية ضد جنود النازي في الحرب العالمية الثانية آخر حرب خاضتها الدنمارك.

أهم معالم كوبنهاغن...

لعل ميدان "إماليبنبورغ" وقصوره الأربعة وتمثال فريدريك الخامس أشهر معالم المدينة الأثرية والسياحية، إلا أن هناك معالم أخرى ساهمت في شهرة المدينة وتميزت بها، أهمها تمثال حورية كوبنهاغن، النصف الأعلى لفتاة والنصف الأسفل عبارة عن ذيل سمكة وتجلس عروس أو حورية البحر على صخرة عند مدخل المرفأ الرئيسي وقد جدلت شعرها على شكل ضفيرة وهي تنظر جهة البحر نحو المدخل الرئيسي للمرفأ وكأنها تنتظر أميرها الغائب كما ورد في إحدى قصص الأديب الدنماركي الكبير "هانزكريستيان أندرسون" ولقد صمم التمثال النحاّت الدنماركي "إدوارد إركسون" حيث كانت زوجته هي "الموديل" الذي نحت التمثال على هيئتها العلوية فقط، ولقد استوحى قصة التمثال من إحدى قصص أندرسون كما سلف، ثم إشترت التمثال بعد ذلك مؤسسة "كارلسبرغ" عام ١٩١٣ ولقد عاشت مدام إركسن حتى سنة ١٩٦٣.

ولقد صُنع هذا التمثال المتواضع في حجمه وشكله شهرة مدوية للمدينة وبلغت أرباح إستغلاله عشرات الملايين وما زالت أرباح استغلال شهرة التمثال تتراكم في صورة مبيعات إما على شكل تماثيل صغيرة شبيهة تماما بالتمثال الأصلي أو كصور ومجسمات ومناظر وملابس وغير ذلك والدعاية الذكية تصنع من الشيء المتواضع شهرة عظيمة، فهناك تماثيل أجمل وأكبر وأكثر كلفة من هذا التمثال، إلا أنها لم تنل شهرته، ولا أعرف تمثالا آخر يعد مزارا للسياح سوى تمثال الحرية في نيويورك.

من المعالم الأخرى نافورة "جيفيون" وتقع على مقربة من تمثال حورية البحر وهي عبارة عن نافورة يتدفق ماؤها على شكل شلالات صغيرة ويتوسط النافورة تمثال لفتاة تقود عربة تجرها ثيران وقد أمسكت الفتاة بكرباج تحث به الثيران على المسير وهذا التمثال أجمل بكثير من تمثال حورية البحر، إلا أنه لا حظّ له من الشهرة مثل ما لحورية

البحر، وصمم تمثال نافورة جيفيون المثال "أندرس بوند غارد" تقع النافورة في ساحة تسمى ساحة تشرشل وتقع قبالتها الكنيسة الإنجليزية التي لا تبعد كثيراً عن القلعة التي هي بمثابة حصن تحيط به المياه، ويُعتبر الحصن في الوقت الحاضر مقراً لرئيس الأركان وقائد الجيش الدنماركي، وتوجد بالقرب من القلعة طاحونه مروحية ضخمة يعود تاريخها إلى سنة ١٦٨٧، وهي واحدة من المعالم الرئيسية الأثرية بالمدينة.

من المعالم الأثرية الأخرى، قصر "كريستيانسبرغ" الذي كان مقراً للأسرة المالكة والذي أُحترق في القرن الثامن عشر وأصبح الآن مقراً للبرلمان الدنماركي كما أسلفنا، ويقع هذا القصر في جزيرة "سلوتشولم" التي تربطها بالمدينة عدة جسور تمتد فوق قنوات تشبه كثيراً قنوات مدينة أمستردام. ومدينة كوبنهاغن عموماً هي أقرب في الشكل الخارجي لمدينة هامبورغ الألمانية، إلا أن لديها روح مدينة أمستردام الدولية من حيث تعدد الجاليات وتنوعها التي تعيش في المدينة، فهي واحدة من العواصم العالمية التي انصهرت فيها مختلف الثقافات والأجناس والعادات.

بُنى قصر "كريستيانسبرغ) في موقع كان لقلعة قديمة تهدمت، ودمرت حريق في سنة ١٧٩٤ وأعيُد بناؤه مرة أخرى، إلا أنه دُمّر في حريق آخر سنة ١٨٨٥، وأعُيد ترميمه للمرة الثالثة في الفترة من ١٩٠٧-١٩٢٨ وهو الترميم الأخير.

لا غرو أن تكثر القصور في مدينة كوبنهاغن فقد كانت عاصمة الدول الإسكندنافية الثلاث الدنمارك والسويد والنرويج، إضافة إلى القصور والمعالم الأثرية السابق ذكرها هناك قصر "فولكتنغ" ويضم حاليا المحكمة العليا ووزارة الخارجية، وتقام فيه عادة الحفلات الملكية، كما أنه يفتح للزوار أيام الخميس والجمعة والسبت والأحد من العاشرة صباحا حتى الرابعة مساء، من أول إبريل حتى نهاية أكتوبر، وبإمكان الزوار والسياح زيارة حجرات الإستقبال الملكية بالقصر في تلك الفترة.

ويضم القصر أيضا متحفا يسمى "متحف المسرح" الذي يحتوي على ما يقارب ٢٠٠٠ آلة موسيقية ومجموعات نادرة من اللوحات الزيتية والرسومات التي تصور تاريخ المسرح والأوبرا والبالية خلال ٢٧٥ سنة الماضية. ولقد كان المتحف فيما مضى مسرحاً أسسه الملك "كريستيان الرابع" أما المسرح الملكي الحالي فيقع بالقرب من قصر "كريستيانسبرغ" المشئوم الذي يتوسط مدخله تمثال للملك "فريدريك السابع" الذي كانت زوجته الثالثة والأخيرة راقصة بالية.!

من المباني الأثرية الجميلة مبنى البورصة والأوراق المالية الذي يقع على مقربة من قصر كريستيانسبرغ، شُيد هذا المبنى في الفترة من ١٦١٩-١٦٤٠ وهو أحد أقدم مباني البورصة في العالم، كما تتم فيه حالياعمليات تجارية هائلة يوميا نظرا للإستثمارات التجارية الضخمة التي تتم في البلاد. والمبنى عبارة عن تحفة معمارية يضاء في المساء بأنوار باهرة جذابة ويمكن التعرف عليه نهارا من خلال قُبته العالية وواجهته الرخامية المزينة بالتماثيل.

أهم ميادين كوبنهاغن بعد ميدان "إمالينبورغ" هو ميدان "رود هوس بلادسن" أو "سيتي هول إسكوير"، وهو عبارة عن ساحة واسعة يُطلق عليها أهالي المدينة اسم "بيكاديلي كوبنهاغن" إذ أنها تشبه ميدان البيكاديلي الشهير بالعاصمة البريطانية لندن، إلا أن ساحة كوبنهاغن عبارة عن مربع واسع مرصوف بالبلاط، ويطل على هذه الساحة الواسعة واحد من أهم مباني المدينة وهو مبني البلدية أو قاعة المدينة، أو كما يسمي باللغات الأجنبية "سيتي هول". وقاعة المدينة هذه تكاد لا تخلو منها مدينة أوربية، سواء كانت عاصمة أو مدينة كبرى وتخصص لإقامة الحفلات والمناسبات الوطنية، كما تُقام فيها المعارض والأنشطة الثقافية والفنية المختلفة، ولم أجد شبيها لفكرة "سيتي هول" هذه سوى المجمع الثقافي ذلك الصرح العلمي والثقافي الشامخ في مدينة أبوظبي عاصمة دولة الإمارات العربية المتحدة الفاتنة بمبانيها الرائعة وميادينها الجميلة وشوارعها المنظمة

هذه الدولة التي اختصرت في حقبة واحدة، إنجازات الآخرين المعمارية في مئات السنين ولن يتضح إعجاز ما تم إلا بعد مرور مائة عام على الأقل ليفتخر الأحفاد بما صنع الأجداد أي بناة دولة الإمارات العربية ومدنها وقراها في العصر الحاضر، عاصمة عربية أخرى وجدت فيها مثل هذا الإنجاز وهي مدينة الرياض التي تعد بحق مفخرة وإعجازً معمارياً سيبقى خالدا على مر الزمن.

عودة إلى مبنى البلدية بالدنمارك، لقد تم تشييده من الطوب الأحمر، وانتهى بناؤه عام ١٩٠٥. وعادة ما يحتوي مبنى البلدية في أية مدينة على مطعم، يعتبر من أفخر وأغلى مطاعم المدينة ولا يرتاده سوى علية القوم وأصحاب التقاليد البروتوكولية "الأتيكيت" يحتوي المبنى في جانب منه على متحف تُعرض فيه واحدة من إبداعات الدنماركيين وهي ساعة ضخمة صنعها "جينزأولسن" واقتضت منه حياته كلها لإنجاز صنعها وتحتوي على مواضع النجوم ودوران القمر وخسوفه لمدة ٣٠٠٠ سنة قادمة! وهي من الدقة بدرجة أنها تتأخر ٤ ثوان فقط كل ٣٠٠ سنة!.

ويتكون المبنى من برج عالي طُليت قمته باللون الأخضر ويرتفع إلى علو ٣٤٦ قدما يصعد إليه الزائرون لرؤية المدينة من ذلك الإرتفاع الشاهق، كما يتكون المبنى أيضا من أربعة أبراج صغيرة عند زواياه.

كما ينتصب تمثال للكاتب "هانز كريستيان أندرسون" نحته هنري نيلسون عام ١٩٦١ وتمثال لدب قطبي. هذا إضافة إلى الكثير من المقاهي والمتاحف والمسارح وغيرها.

تيفولي... عروس حدائق العالم!

تعتبر الدنمارك بأسرها حدائق وحقول ومراعي، أوليست هي أشهر دولة مصدرة للأجبان والألبان واللحوم والدواجن؟ فرغم صغر مساحد البلد نسبة إلى غيرها من دول أوروبا، إلا أنها تخصصت في هذا النوع من الإنتاج، ربما طبيعة الأرض المنبسطة ساعدتها في ذلك، إلا أن مدينة كوبنهاغن العجوز لا تخلو من حدائق ومتنزهات أهمها حديقة الحيوان التي تعتبر واحدة من أقدم حدائق الحيوانات في العالم، إذ أنها تأسست منذ ١٣٥ سنة مضت تقريبا، وتحتوي على أكثر من ٢٥٠٠ نوع من أنواع الحيوانات، وهي تفتح أبوابها للزوار من التاسعة صباحا وحتى الرابعة مساءا، وللوصول إليها من مركز المدينة أي من محطة القطارات يتم بواسطة الحافلات العامة ٢٧، ٢٨، ٢٩ التي تتوقف تماما أمام مدخل الحديقة.

أما أشهر حدائق الدنمارك وربما العالم فهي حديقة أو مجموعة حدائق "تيفولي" التي تقع في قلب المدينة تماما، مدخلها الرئيسي على شارع "فيستربروغادة" أشهر شوارع العاصمة وأكبرها، وعلى الجانب الأيمن يقع المبنى الرئيسي لمحطة قطارات كوبنهاغن الدولة وعلى الجانب الأيسر مبنى البلدية أو "تاون هول سكوير"، أنشئت هذه الحدائق على أطلال سور كان يحيط بالمدينة في العصور الوسطى، وصممها "جورج كارستينسن" سنة ١٨٤٣وهو ابن أحد الدبلوماسيين الدنماركيين ولد بالجزائر، وما زال بعض سكان العاصمة يطلقون عليها "حدائق كارستينسن" على اسم مؤسسها، ويقال أن الملك "كريستيان الثالث" وافق على إنشاء تيفولي لأنه يؤمن بأنه: "عندما يقضي الشعب أوقاته في اللهو، لا يجد متسعا من الوقت للتفكير في السياسة"!!.

واللهو يشمل أشياء كثيرة كالمسرح عند الدول الشيوعية والمخدرات عند الحكومات الديكتاتورية والغيبيات والألعاب الرياضية عند غيرها.

إفتتحت حدائق تيفولي رسميا في الخامس عشر من آغسطس عام ١٨٤٣، أي أنه مرت ١٥٠ سنة على افتتاحها، وبلغ عدد زوارها في أول يوم ٣٦١٥ زائر، وفي اليوم التالي عشرة آلاف، بينما بلغ عدد زوارها سنة ١٩٩٢ أربعة ملايين و١٠٠ألف زائر، ٤٠٪ منهم من الزوار الأجانب، ولقد لاحظت خلال السنين الأخيرة إزدياد عدد الزوار اليابانيين بصورة ملحوظة، والسائح منهم يحمل اكثر من آلة تصوير على كتفه وحول رقبته، ولقد سمعت أحد ظرفاء الدنماركيين يناديهم بالسياح الالكترونيين نسبة إلى الأجهزة الألكترونية التي يحملونها معهم. ولقد بلغ عدد زوار "تيفولي" منذ إنشائها حتى الآن أكثر من ٢٧٢ مليون شخص!!!

يبلغ عدد الزهور في الحديقة حوالي ٤٠٠ ألف زهرة، يتم إنفاق حوالي ٥٤٧ ألف دولار سنويا على الإعتناء بها واستبدال الذابل منها بأخرى جديدة،ويبلغ عدد أشجارها ٨٦٠ شجرة، ويُضاء فيها ١١٠٧١٨ سراج كهربائي ويبلغ عدد الموظفين العاملين فيها ٢٠٠ موظف بدوام كامل، بينما يتم التُعاقد مع ٢٦٠٠ موظف أثناء موسم الزيارات، ويملك أصحاب المصانع ٤٤٪ من أسهمها، ويملك أحد المصارف ٨٪ والباقي يملكها عدد من الأشخاص، وبلغت أرباحها حوالي ٤.٦ مليون دولار في موسم ١٩٩٢/٩١م.

زارها العديد من مشاهير العالم، كما زارها "والت ديزني" خلال فترة الخمسينات وأوحت له زيارته تلك بعدة أفكار ساعدته في تشييد مدينة ألعاب وملاهي "والت ديزني" في الولايات المتحدة، وبهذا الخصوص يقول المشرفون على الحديقة: "لقد حاول الكثير تقليد تيفولي في دولهم ولكنهم فشلوا، حتى مدينة ملاهي والت ديزني لم تستطع مجاراة

تيفولي" وحتى لو كان قولهم صحيحاً فهذا لا يعني ألا يُقلد أحد هذه الحدائق، بل ربما تفوقوا عليها من حيث استخدام الأجواء الأسطورية التي تزخر بها البلدان الأخرى خاصة دول الشرق بواسطة التكنولوجيا الحديثة، فكثير من الأساطير المجسمة في تيفولي هي من أساطير الشرق وخاصة قصص السندباد وألف ليلة وليلة، وليت أن رجال السياحة العرب زُرِوا هذه الحدائق وقاموا بتصويرها سينمائيا ومن ثم عادوا إلى بلدانهم وعرضوا تلك المشاهد على الفنانين والرسائيين والمؤرخين وغيرهم ومن ثم جمعوا ما يستقر عليه هؤلاء من أفكار وعرضوها مرة أخرى على المعماريين، لصنعوا شيئا ربما يفوق ما في تيفولي وحصدوا الملايين، فإن الكبار قبل الصغار في الأقطار العربية يفتقدون شيئاكهذا، ولكن لماذا لا تتفقد هذه الحدائق الرائعة وأقصد بها تيفولي إذ أننا لم ندخلها بعد.

رغم كل ما تقدم من حديث عن تيفولي فإن هذه الحدائق لا تفتح أبوابها للزُائرين سوى في الفترة من نهاية إبريل حتى منتصف سبتمبر من كل عام أي في موسم الصيف الذي هو ذروة الموسم السياحي في الدنمارك أي لمدة أربعة أشهر ونصف فقط في العام الواحد، وتبدأ العمل من الساعة العاشرة صباحا وحتى منتصف الليل، وأسعار الدخول تبدأ من ٣٠ كرونه دنماركية أي ما يعادل ٥ دولارات، و١٥كرونه أي دولارين ونصف للذين هم أقل من ١٢ سنة وللأطفال أقل من ٤ سنوات مجانا.

هناك عدة مداخل للحديقة، إلا أن المدخل الرئيسي الذي يقع على شارع "فيستر برؤغادة" هو أفضل المداخل نظراً لوجود المكتب السياحي حيث تتوفر خرائط الحدائق وأشهر معالمها والإستعراضات ومواعيدها وجميع البيانات الأخرى وهي مجانية، يسير على هداها الزُائر داخل الحدائق ويتابع برامج الاستعراضات منها ما هو في الهواء الطلق كألعاب الأكروبات أو الألعاب البهلوانية، وأجمل الأيام هو يوم الإفتتاح في الأول من مايو

أو نهاية إبريل من كل عام، حيث يفد إليها الزائرون من كل مكان ليس فقط في الدنمارك بل من كل مكان في العالم، حيث يتم وضع برامج سياحية خصيصاً لزيارة الحدائق عند المدخل، وعلى جهة اليسار يوجد مسرح مفتوح في الهواء الطلق والمتفرجون يتابعون العروض وهم وقوف.

ثم بعد ذلك حلبة للسيرك والألعاب البهلوانية، منها ما يتم على أعمدة سامقة تمتد إلى أعلى حيث يمارس أربعة من اللاعبين عبارة عن فتاتين وشابين حركات بهلوانية ويتبادلون مواقعهم فوق قمة تلك الأعمدة المتأرجحة التي تشبه أعمدة النور في الشارع ويتابعها المتفرج وهو جالس ووجهه إلى السماء حيث أن العرض يتم فوق قمة رأسه، ولو حدث أي خطأ من أحد اللاعبين وسقط فإنه حتما سوف يسقط على رؤوس المتفرجين.

وهناك الكثير من البرامج الخطرة حيث يفد إلى الحدائق كل عام فرق من مختلف بلدان العالم تعرض برامجها. كما يوجد لتيفولي فرقة موسيقية خاصة تشبه إلى حد بعيد فرقة الشرف الملكية أو الحرس الملكي الذي يستبدل عند الظهر تماما في ميدان "إماليينبورغ" وترتدي نفس الزي، هناك الكثير من وسائل التسلية والفنون، ولعل أحسن المطاعم في مدينة كوبنهاغن كلها هي مطاعم تيفولي التي تلبي كافة الأذواق وربما أفضلها المطعم الشرقي الذي يقدم لحم الضأن مشويا على الفحم حيث يختار الزبون ما يشتهيه، بل أن الطهاة في هذا المطعم من العرب.

وأجمل هذه المطاعم هو مطعم الشرفة الجميلة المشهور عالميا ويستقطب الكثير من الزوار، ولقد اعتادت الملكة وعائلتها التردد عليه لتناول طعام الغداء وهو يقدم كافة أنواع الطعام من بلدان العالم المختلفة، ويتكون هذا المطعم من عدة غرف مفتوحة على بعضها البعض وتطل على بحيرة الحدائق، أما في المساء فيتحول هذا المطعم إلى مكان شاعري

حالم يتناول فيه العشاق وجلهم من الأجانب الذين يقضون شهر عسلهم على أضواء الشموع حيث تزين موائدهم الورود والأزهار.

تيفولي ليست مجرد مدينة ملاهي بل هي مُلتقى رجال الأعمال الذين يتناولون فيها طعام الغداء وربما يعقدون فيها أثناء الغداء الصفقات في جو مرح، ويلهوفيها الأطفال ويتبادل العشاق الهمسات تحت أشجارها الوارفة، تيفولي مدينة ترى فيها أجناسا عدة وألوانا مختلفة من البشر.

كوبنهاغن مدينة الأساطير والمرح والمجون!!

إستمدت الدنمارك أساطيرها من تاريخها المبهم الغامض وغزوات الفيكنغ وحروبهم حتى تحولت هذه الأساطير إلى حكايات وقصص تجسد بعضها في تلك المجسمات في حدائق تيفولي والبعض الآخر تحول إلى مسرحيات نشاهدها وقد لا نفهم منها شيئا اللهم تلك الازياء التي يرتديها الممثلون والتي تمت إلى عصور ماضيه ولعل أشهر أساطيرهم تلك التي خلدها شكسبير في مسرحيته الخالدة "هاملت" فما قصة هاملت؟

يعد أغلب النقاد مسرحية "هاملت" كأعظم مسرحيات شكسبير على الإطلاق التى إجتاز بها عتبة المرحلة التراجيدية الهامة في حياته المسرحية، أما أصل المسرحية فيعود إلى الأصول الجرمانية الأولى، ولقد سجلها لأول مرة المؤرخ الدنماركي "ساكسوغراماتيكوس" في القرن الثاني عشر، وتدور القصة حول الأمير"آمليت" الذي ينتقم لأبيه الملك المقتول من عمه القاتل الذي تزوج أمه وتبوأ عرش أبيه.

ولقد إقتبس القصة الكاتب المسرحي "توماس كيد" الذي حولها إلى رواية دموية، ثم جاء شكسبير وحول الرواية إلى مسرحية عالمية سنة ١٦٠١، ولقد اعتمد شكسبير في صياغته للمسرحية على مشاهد العنف التقليدية السائدة في عصره والأجواء الغامضة المثيرة، إلا أن ذروة الإبداع في صياغة هذه المسرحية تجلت في نقله للدراما والحركة من الأجواء المحيطة إلى داخل نفسية البطل هاملت حيث تجري أحداث الرواية الأصلية ويكمن مغزاها، وجعل من بطل الرواية أو المسرحية الأمير الحائر رمزا خالدا للإنسان الذي يواجه ألغاز الكون المحيرة، مثل الموت والحياة، الخطأ والصواب، الحق والباطل فيقف أمامها عاجزا.

والمسرحية تزخر بالحكم البليغة التي أضفى عليها مؤلفها العبقري الكثير من شاعريته الفياضة. هذه قصة واحدة فقط من أساطيرهم وإن كانت أشهرها على الإطلاق حيث اكتسبت شهرتها من شهرة شكسبير الذي خلدها في واحدة من أعظم مسرحياته.

أما المرح في الدنمارك فحدث عنه ولا حرج، هناك إختلافا كبيرا بينهم وبين جيرانهم الإسكندنافيين السويديين والنرويجيين، فهؤلاء يتمتعون بدم ثقيل بارد كطقسهم بالنسبة إلى الدنماركيين الذين تميزهم روح الدعابة والمرح إضافة إلى لغتهم ذات الوقع المحبب على السمع.

كوبنهاغن مدينة لا تنام، يجد المرء فيها مشارب ومطاعم مفتوحة في أي وقت من ليل أو نهار، أما في فصل الصيف فيزداد الصخب والضجيج بازدياد السواح والزوار، ولأنها مدينة عالمية، فلا مكان للعنصرية البغيضة بينهم، ليس أسهل من التعرف على الدنماركيين سواء في الطريق أو في الحدائق أو المطاعم، فقط حدثهم عن مباهج الحياة تكسب ودهم ومعرفتهم وتجنب الحديث عن المآسي والآلام والأحزان، فإنهم قد خرجوا من بيوتهم لنسيان شيء منها أو للبحث عن المتعة والمرح، يجيدون الإصغاء إلى الدعابة والنكتة ويتجاوبون معها وتأسرهم، فيتحول الغريب الذي كان يتوجس الحديث اليك في البداية إلى صديق يتجاذب معك أطراف الحديث، شيء واحد يثير حفيظتهم أولا يلقي إحترام لديهم هو أن يكون المرء لاجئا عندهم في بلدهم ومن ثم يثير المشاكل، حاول في البداية أن تبرهن أنك سائح أو زائر فتكسب ثقتهم، كانوا أكثر ودا في السنين الخوالي ولكن نظرا لتكالب المهاجرين على اللجوء إلى بلدهم إضافة إلى المشاكل الإقتصادية التي بدأوا يعانون منها جعلت الكثير منها يفقد روح الترحاب بالغريب.

معرفة المدينة تبدأ عند محطة القطارات الرئيسية في العاصمة، إنها محطة دولية تفد إليها القطارات من سائر دول أوربا ومن هناك تبدأ معرفة العاصمة، فنادقها وأسعارها بدءا بالفنادق الفخمة التي تقع على بعد أمتار قليلة وإنتهاء بالفنادق المتواضعة أو بيوت الشباب مقر إقامتي المفضلة التي لا تبعد كثيرا عن المحطة، في المحطة تستطيع أن تسأل عن

أي شيء، ستجد جواباً لكل سؤال، إما من مكتب السياحة الذي يزودك بكل ما يتوفر من مطبوعات مجانية عن البلد، أو من مكتب حجز الفنادق الذي يوفر لك خصما معقولا، أو تستطيع شراء بطاقة كوبنهاغن التي توفر ما قيمته ٢٥-٥٠٪ من تكاليف المواصلات ودخول المتاحف والذهاب إلى السويد بواسطة الحافلات البحرية السريعة وأشياء أخرى يشرحها لك موظف الإستعلامات دون كلل أو ملل.

أما أكثر الأماكن جذباً للسياح بعد تيفولي فهو شارع المشاة أو شارع "فريد ريكس بيرغاد" الذي يقع على مقربة من مبنى البلدية أو "سيتي هول" وهو شارع مخصص للمشاه فقط وتقع على جانبيه أهم المحلات التجارية والمطاعم والمقاهي، ويرتاده – ربما- نصف المتسوقون أو أكثر في المدينة، وتشاهد في هذا الشارع مختلف الغرائب التي تحفل بها كوبنهاغن، فرق موسيقية من الهواة تعزف ألحانها كوسيلة مهذبة للتسول وأغلب هذه الفرق من الزائرين أو الشباب المسافرين الذين يجوبون عواصم أوروبا منهم من الغجر ومن أمريكا اللاتينية وأوربا الشرقية بل حتى الموسيقى العربية بالعود والدفوف تسمع ألحانها الشجية في هذا الشارع يعزفها هواة من المغرب أو الجزائر، هواة يمارسون ألعابهم، ممثلين فكاهيين وهزليين، تمثيلة صامتة ولكنها معبرة يقدمها شخص واحد بأدوار مختلفة الشارع عبارة عن مسرح أو مجموعة مسارح للعابرين والمتسكعين، ينتهي هذا الشارع حيث يمتد إلى شارع "أوسترغاد" المغلق أمام السيارات وينتهي بساحة "كونجن نيتروف" وهي عبارة عن ميدان تتوسطه حديقة عامة يرتادها المشاة ويستريح على مقاعدها كبار السن.

التسوق في المدينة هو متعة لغيري، أما أنا فأكتفي بتأمل المعروضات والسلع التي عرضت بطريقة جذابة فيها الكثير من الذوق الرفيع خلف الواجهات الزجاجية، الأسعار أغلى بكثير من الدول العربية نظرا للضرائب المرتفعة، أهم السلع هي المصنوعات الجلدية

والفراء الذي اشتهرت به الدول الإسكندنافية والدنمارك على وجه الخصوص، تأملت معطفا رائعا من الفراء وفركت عيني عدة مرات لأتأكد من السعر المعلق عليه فوجدته يفوق الخمسين ألف كرونة!! إن هذا المبلغ يوفر لي مسكنا آوي إليه كبقية خلق الله، وما زلت عاجزا عن توفيره وأقصى ما استطعت أوفره هو حقيبة سفر هي بمثابة منزلي المتنقل!

من أهم المعروضات الأخرى، المجوهرات والذهب، والعيار المتداول عندهم هو عيار ١٤ وليس هناك أعلى من هذا مثل ١٨ أو ٢١ أو ٢٢ أو ٢٣ كما هو في الدول العربية، سألت لماذا؟ فلم أجد جوابا إنهم لا يعرفون لماذا على وجه الدقة.

في نهاية شارع المشاة وبعد الميدان يقع أشهر أحياء العاصمة أو الجزء القديم منها وهو حي البحارة حيث المرفأ القديم الذي هو عبارة عن قناة ضيقة إمتدت حتى الداخل واصطفت في هذه القناة السفن الشراعية القديمة واليخوت ويطلق على هذا الحي اسم "نيهافن" تتوسطه مرساة ضخمة يقع في منتصفها النصب التذكاري للبحارة الدنماركيين الذين قضوا نحبهم في الحرب العالمية الثانية. ولقد أطلقوا على كل شارع ومنزل بالحي اسم أحد البحارة المفقودين في الحرب ويرتاد هذا الحي عادة البحارة وصعاليك الموسيقيين والرساميين والفنانين، وتكثر فيه الحانات والمقاهي ويكثر رواده في فصل الصيف خاصة من الطلبة والزوار والسويديين الذين يفدون على المدينة من مدينة مالمو التي تبعد حوالي ٤٠ دقيقة بواسطة الحافلات البحرية السريعة والتي يقع مرفأها عند مدخل قناة الحي على بعد خطوات.

من مظاهر المرح الأخرى، الإحتفالات التي ينظمها طلبة المدارس بمناسبة إنتهاء العام الدراسي، حيث يرتدون الملابس البيضاء ويعتمرون القبعات البيضاء التي تشبه

قبعات البحارة وينطلقون أما سيرا على الأقدام أو بالسيارات المزدانة بالأعلام عبر شوارع المدينة يرتادون الحانات والمقاهي والمطاعم، ثم يتجهون بعد ذلك إلى شارع كريستيان الخامس حيث يتجمعون في مقهي شهير مواجهة لفندق إنجلترَ أقدم وأشهر فنادق العاصمة الذي ينزل فيه عادة السفراء القادمون لتقديم أوراق إعتمادهم قبل أن يتم إستقبالهم الرسمي في القصر الملكي.

يبلغ المرح عندهم ذروته في الإحتفالات بالكرنفال السنوي، حيث يصبغون وجوههم ويرتدون ملابس مضحكة وغريبة، وينطلقون في الشوارع أغلبهم من الشباب أو المراهقين يرقصون ويغنون إلى أن يهوى بهم السكر والتعب على الأرصفة وفي الطرقات.

أما أكثر أيامهم مرحا وإحتفالات فكانت في سنة ١٩٨٦ عندما وصل منتخب الدنمارك الوطني لكرة القدم إلى نهائيات بطولة العالم لأول مرة، لقد جُن الشعب الدنماركي وارتدى أفراده أزياء العلم وهي باللونين الأحمر والأبيض وأخذوا يرددون أغنية إشتهرت عالميا تقول في مطلعها، نحن الحمر نحن البيض، نحن الدنماركيين ديناميت! علامة أو تعبيرا عن اكتساحهم للفرق الرياضية الأخرى، وبلغ بهم الحماس أن طلوا وجوههم بألوان العلم الدنماركي الذي يطلقون عليه اسم "د ينبورغ" فبدت وجوهم أعلاما باسمة أو ضاحكة.

هذا بشأن المرح، أما المجون فقد بلغ لديهم ذروته، فهم أكثر شعوب أسكندنافيا تهتكاً وخلاعة، إنتشرت في طرقات عاصمتهم مواخير الفساد والدعارة، وهي الدولة الوحيدة من دول الشمال التي تبيح رسميا ممارسة الدعارة والإعلان عنها وليس هناك أسهل من ممارسة الجنس بينهم، حتى وصل داء "الأيدز" عندهم إلى أعلى معدلاته نسبة إلى باقي دول أوروبا، فأصبح الرجل فيهم لا يثق في زوجته والمرأة لا تثق في زوجها!!

بل إن من المآسي التي سمعت بها أثناء إقامتي قصة ذلك المتشرد الذي يتكسب بواسطة العزف على آلة موسيقية في شارع المشاة، وهو أحد المهاجرين المقيمين في مدينة كوبنهاغن وقد إكتشف داء الإيدز عنده وأعترف بأنه مارس الجنس مع العشرات من النساء الدنماركيات كن يلجأن إليه بعد تسكعهن واحتسائهن الخمر كما ذكر، وأعلن في وسائل الاعلام عن ضرورة إجراء فحص دم لكل سيدة مارست الجنس مع هذا الرجل للتأكد من خلو دمائهن من فيروس المرض، وتقدمت أكثر من أربعين فتاة وسيدة هذا بخلاف اللاتي أحجمن عن إجراء الفحص إما خشية الصدمة من إكتشاف الفيروس، أو لأنهن مصابات به فعلاً، هذه هي نتيجة الإباحية وممارسة الجنس في الطرقات.

المرأة الدنماركية هي أكثر نساء أسكندنافيا وربما أوروبا، إباحية وخلاعة، لقد خصصت الحكومة الدنماركية شاطئا بأسره للعراة ليمارسوا فيه هوايتهم الغريبة هم وأطفالهم، كما ذكرلي أحد المهاجرين العرب هناك، بيد أن رواد ذلك الشاطئ إعترضوا على صغر المساحة وطالبوا بتمديدها. وهذا لا نظير له في سائر دول إسكندنافيا التي إشتهرت فيما إشتهرت به سابقا بالإباحية والتحلل، بل إن أحد الموظفين الحكوميين الدنماركيين ذكر لي بأن الدنمارك هي الدولة الإسكندنافية الوحيدة التي لا زال قانونا لها صدر أثناء فترة الثورة الجنسية بحرية ممارسة الموظفين والموظفات الجنس أثناء فترة الدوام الرسمي لمدة محددة على ألا تطول هذه المدة، وكان هذا مسموحا به -كما يقول- في الدول الإسكندنافية الأخرى، إلا أنه مُنع أخيرا لسوء استخدام هذه الرخصة!!!

تجد المراهقين والمرهقات في الشوارع والطرقات حتى ساعات الفجر الأولى من اليوم التالي،ضياع إجتماعي وتفكك أسري بسبب حرية المعتقد وحرية التصرف.

الدنمارك الدولة والتاريخ والثقافة...

تبلغ مساحة الدنمارك ٤٣٠٧٠ كم٢ وعدد سكانها حوالي ٥١٣٠٠٠٠ نسمة، أرضها منبسطة يبلغ متوسط إرتفاعها عن مستوى سطح البحر حوالي ٣٥ متر وهي بذا تُعتبر واحدة من أكثر دول أوربا إنبساطا وهي عبارة عن مملكة، الملكة مارغريت الثانية تملك ولا تحكم، ورثت الملك عن والدها فردريك التاسع، ولدت في السادس عشر من أبريل سنة ١٩٤٠ بعد أسبوع من إجتياح النازي للدنمارك.

كان عمرها ثلاثة عشر سنة عندما أصبحت ولية للعهد، درست القانون الوطني والقانون الدولي في الجامعات الدنماركية والأجنبية، وأدت الخدمة العسكرية الإلزامية تتمتع بشعبية وإحترام كبيرين بين أفراد شعبها، على درجة عالية من التعليم والثقافة ترجمت العديد من الكتب الأجنبية إلى اللغة الدنماركية وبالمشاركة مع زوجها أحيانا الأمير هينرك، ولديها ولدان وتشارك العائلة الحاكمة في المناسبات الوطنية.

يدير دفة الحكم مجلس وزراء ينتخب رئيسه من قبل البرلمان "فولكتنغ" الذي يتكون من ١٧٩ عضو منهم إثنان من جزيرة "غرينلاند" وإثنان من جزر "فيرو".

الدنمارك عبارة عن شبه جزيرة في معظمها تسمى "جوتلاند" ومجموعة جزر هي جزر زيلاند وفين وفالستر ولولاند وغيرها، أما شعبها فهو من الشعوب الإسكندنافية ما عدا أقلية ألمانية تقطن الجزء الجنوبي لشبه الجزيرة القريب من ألمانيا، والديانة الرسمية هي اللوثرية كسائر دول إسكندنافيا والحرية الدينية مكفولة للجميع وإن كان الشعب في معظمه لا يقيم وزنا للدين.

تمتلك الدنمارك أسطول تجاري ضخم ولديها صناعة سمكية متقدمة جدا، أهم صادراتها منتجات الألبان واللحوم والأسماك والآلات، يصنعون السفن بتكنولوجيا متفوقة ولكنهم لا يصنعون السيارات إذ يقولون أنهم تركوا صناعة السيارات لجيرانهم

السويديين الذين برعوا فيها، ويروي عن ملكتهم في هذا الصدد قولها: "السويديون يصنعون الآلات ومختلف السلع ولكننا نحن نبيع لهم، إننا متفوقون جدا في التسويق". وقولها صحيح إذ أن السويديين لديهم براعة فائقة في التصنيع إلى درجة أن المصنوعات السويدية من أجود المصنوعات في العالم وأكثرها كفاءة، ولكن السويدي يفتقد القدرة على التسويق أو الإقناع بجودة بضاعته.

تصدر الدنمارك أيضا الأثاث الذي برعت في تصميمه وتصنيعه والمنتجات البترولية وهي سوق كبير للاستثمار في هذا المجال، والكويت من أكبر الدول البترولية التي استثمرت عائداتها في مجال المشتقات البترولية في الدنمارك خاصة محطات توزيع البترول، وعلى ذكر البترول فإن أسعار السيارات هي من أغلى الأسعار في العالم.

الدنمارك كسائر دول إسكندنافيا، لا يُعرف الكثير عن تاريخها القديم قبل عصر "الفيكنغ"، سكنت الدنمارك قديما قبائل الدانز التي لعبت دورا هاما في غزوات الفيكنغ أو النورس لأوروبا الغربية، وقديما لم يكن هناك التقسيم الجغرافي السياسي المعروف حالياً وهو مملكة السويد ومملكة النرويج ومملكة الدنمارك، وإنما أقاليم ثلاثة كان يسكنها شعب الفيكنغ.

أما فيما يعرف بالسويد حاليا، فقد غزا سكانها من الفيكنغ شرق أوروبا وعبروا البلطيق حتى وصلوا إلى البحر الأسود، والذين سكنوا ما يعرف باسم النرويج اليوم فقد غزوا إنجلترا وإيرلندا والجزر القريبة منها والجزر الشمالية في المحيط الأطلسي، بينما إتجه الدانيون أو الفيكنغ من سكان الدنمارك حالياً إلى الجنوب والغرب وهددوا شواطئ الإمبراطورية الكارولنجية في ألمانيا وفرنسا إضافة إلى انجلترا وإيرلندا القريبة منهم، ولقد عانت إنجلترا الكثير من غارات الفيكنغ الدانيين وأشاعوا فيها الكثير من الدمار والفوضى

والتخريب، ولم ينقذ بقية إنجلترَ من خطر الدانيين وتوسعهم سوى مقاومة الملك "الفرد" ملك وسكس والملقب بالعظيم الذي دخل معهم في تسعة معارك حربية خلال السنة الأولى من حكمه، وأنزلَ بهم هزيمة ساحقة عند "أدنجتون" سنة ٨٧٨ بعد هدنة قصيرة، إلا أنهم لم يتوقفوا عن الغزو ونقضوا الهدنة مرات عدة. ولقد حاول القديس "ويلبرورد" تنصير الدانيين، ولكنهم تنصروا على يد القديس "إنسجار" وكان الملك "هارولد بلوتوث" هو أول ملوك الدنمارك المسيحيين بعد الوثنية.

منذ ١٠١٨م وحتى ١٠٣٥م إتحدت الدنمارك والنرويج والأجزاء الجنوبية من السويد التي تضم سكونا وهالاند وبليكنج تحت حكم الملك "كانوت" الذي ضم إنجلترَ إلى ملكه تعرضت الدنمارك للأضطرابات والحروب الأهلية بعد وفاة الملك "كانوت"، ثم إستعادت قوتها في عهد الملك "فالديمار الأول" في الفترة من ١١٥٧-١١٨٢ و"فالديمار الثاني" في الفترة من ١٢٠٢-١٢٤١ اللذان نشرا سيادة الدنمارك على الشمال.

وبلغت الدنمارك أوج إزدهارها وقوتها في عهد الملك "فالديمار الرابع" في الفترة من ١٣٤٠-١٣٧٥ ولكنه اضطر للرضوخ للحلف الهانسي في معاهدة "سترَلسوند "سنة ١٣٧٠ ثم توحدت تيجان الدول الاسكندنافية الثلاثة السويد والنرويج والدنمارك تحت حكم الملكة "مارغريت" ابنة الملك "فالديمار الرابع" سنة ١٣٩٧، ولكن سرعان ما تخلصت السويد من حكم الدنمارك الفعلي، وإنحل اتحادها مع ملكة الدنمارك باعتلاء الملك "غوستاف" الأول عرش السويد سنة ١٥٢٣، واستمر إتحادها مع النرويج حتى سنة ١٨١٤ وانفصلت الأجزاء الجنوبية من السويد عن حكم الدنمارك سنة ١٦٥٨ فيما عدا فترَت قصيرة، وفي سنة ١٤٤٨ إعتلى "كريستيان الأول" عرش الدنمارك وهو أول من حكم الدنمارك من أسرة "أولدنبورغ" التي تنحدر منها الأسرة الحاكمة الحالية، وفي عهد كريستيان الثالث أستقرت حركة

الإصلاح الديني البروتستانتي في الفترة من ١٥٣٤-١٥٥٩ وازدهرت الحياة الثقافية ومن أهم شخصيات تلك الفترة "تيخوبراهي".

دخلت الدنمارك بعد ذلك في حروب مع السويد أهمها حرب الثلاثين سنة تحت حكم "كريستيان الرابع" وحروب "فردريك الثالث"، كان من نتيجتها ضياع سيادة الدنمارك على الشمال واستيلاء السويد عليه، ولقد أقرت معاهدة" كوبنهاغن" سنة ١٦٦٠ التي تمت بين الدنمارك والسويد معظم الخسائر الدنماركية التي فرضتها معاهدة "ووسكلد" في سنة ١٦٥٨ ثم تحولت الدنمارك في عهد "فردريك الثالث" و"كريستيان الخامس" إلى ملكية مستبدة بمعاونة الوزير "كونت غريفنفلد"، وقضوا على مقاومة الأشراف الذين كافحوا سلطة الملك قرونا طويلة.

واستمرت الدنمارك في حالة عدم استقرار سياسي وحروب مع جيرانها إلى أواخر القرن الثامن عشر حيث حدثت فيها إصلاحات اجتماعية هامة وألغى رق الأرض سنة ١٧٨٨، وفي أثناء حروب "نابليون" هاجمت الدنمارك إنجلترا مرتين وسلخ منها مؤتمر فيينا الذي عقد سنة ١٨١٥ النرويج لإنضمامها لنابليون.

في عهد "فردريك الثامن" إتخذت الدنمارك دستورا جديدا، ودخلت في حرب مع بروسيا بين عامي ١٨٤٨ و١٨٤٩ هزمت فيها الدنمارك، ثم دخلت مرة أخرى الحرب مع بروسيا والنمسا سنة ١٨٦٤ في عهد "كريستيان التاسع" وانهزمت مرة أخرى وفقدت الدنمارك هيبتها وانكفأت على نفسها حيث حققت تطورا اقتصادياً وزراعياً هائلاً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تحول شعبها من مجرد مزارعين فقراء إلى أمة من أغنى شعوب أوروبا بفضل تخصص أولئك المزارعين في منتجات الألبان التي ما زالت

مزدهرة حتى الآن. ولقد ساهمت الحركة التعاونية والمدارس الشعبية لتعليم الصناع والفلاحين بنصيب كبير في إزدهار ورخاء الدنمارك.

وقفت الدنمارك على الحياد في الحرب العالمية الأولى والثانية ووقعت حكومة الدنمارك الاشتراكية الديمقراطية ميثاق عدم إعتداء مع ألمانيا النازية لمدة عشر سنوات، إلا أن القوات النازية احتلت الدنمارك في أبريل ١٩٤٠ إلى أن حررتها الجيوش الإنجليزية في مايو ١٩٤٥، والدنمارك عضو في حلف شمال الأطلسي منذ ١٩٤٩.

بدأت الثقافة والأدب في الدنمارك في أول مراحلها في الفترة ما بين القرن الثالث عشر والسادس عشر، حيث بدأت بالأساطير والقوانين والمسرحيات الأخلاقية التي عقبت الكتابات الدينية، حيث تمت ترجمة الإنجيل إلى اللغة الدنماركية على يد "بيدرسن" في النصف الأول من القرن السادس عشر، وأبرز كتاب تلك الفترة الشاعر "أندرس أريبو" والشاعر "كينجو" وأبو الأدب الدنماركي الكاتب "لودفيغ هولبرغ" الذي عاش في القرن الثامن عشر والشاعر "يوهانس إيوالد" أما أعظم فلاسفة القرن التاسع عشر فهو الفيلسوف الديني "كيركجورد" الذي يعتبر أحد رواد الفلسفة الوجودية إضافة إلى عدد آخر من كتاب ذلك القرن منهم: "هابيرغ" و "بليكر" و "غولتشمت".

أما أعظم أدباء الدنمارك على الإطلاق فهو الشاعر والروائي والأديب: "هانز كريستيان أندرسن" الذي يعتبر بمثابة شكسبير عند الإنجليز وتنتشر تماثيله في أشهر ميادين كوبنهاغن، ولد سنة ١٨٠٥ وتوفى سنة ١٨٧٥ ، نشأ فقيرا ورحل إلى كوبنهاغن بحثا عن عمل، عمل بالتمثيل في بداية حياته ولكنه فشل فيه، أرسله الملك "فردريك السادس" إلى المدرسة حيث أمضى فيها عدة سنوات، ثم أرسله إلى عدد من الدول الأوروبية ليسجل إنطباعاته عنها، نشر عدة كتب وكان مصيرها الفشل إلى أن تبسم له

الحظ عندما نشر أول رواية ناجحة سنة ١٨٣٥، ثم نشر بعدها مجموعة من الحكايات الخرافية ظهرت فيها عبقريته، ثم توالت كتاباته وحكاياته وقصصه حتى أصبح أشهر الكتاب الدنماركيين وأعظم روائييهم، من أشهر قصصه"البطة القبيحة"و"عسكري الصفيح الشجاع"و"الحذاء الأحمر"و"عروس البحر الصغير" التي أوحت إلى المثال "اركسن" تصميم تمثال عروس البحر أشهر تماثيل كوبنهاغن.

ولقد إهتم الأدب الدنماركي المعاصر بالمشكلات الاجتماعية والإقتصادية، ومن رواد الكاتب المسرحي "ابيل"و "يوهانس ينسن" والكاتب المسرحي الوطني "كاي فونك" وأشهرهم الروائي "مارتن نيكسو إندرسن" الذي نال شهرة عالمية برواياته "بيلة الفاتح" و "ديته ابنة الإنسانية"، وتتسم رواياته بالواقعية والعطف على الفقراء، كما ساعدت على تحسين الأحوال الإجتماعية في الدنمارك ولقد أقام وقتا طويلا في روسيا وكتب عنها عدة كتب.

ربما كان للفلسفة الوجودية الإلحادية تأثيرا كبيرا في فكر وممارسة الدنماركيين لحياتهم وأسلوب معيشتهم، رغم أن فيلسوفهم العظيم "كير كجورد" قد إنتهج الوجودية المسيحية التي تقر بأن قلق الإنسان يزاول بالإيمان بالله كفلسفة ومنهج فكري، إلا أنهم قوم لا يؤمنون – في غالبيتهم وخاصة الشباب منهم- بأي دين. إنقطعوا عن الذهاب إلى الكنيسة منذ زمن وأصبح دور الكنيسة عندهم قاصرا على تسجيل المواليد والشئون الإجتماعية الأخرى، يعيشون حياتهم كما يحلو لهم يغرفون من متع الدنيا ما لذ وطاب وإن كان لمتاعها أثر سيئ تمثل في التفكك الأسري والإنحلال الأخلاقي والإباحية الجنسية التي وصلت إلى حد الفوضى.

الجالية العربية الإسلامية في الدنمارك..

عبد الرحمن أمين أبو العلا، مهندس مصري كان يعمل في وزارة الزراعة والري في جمهورية مصر العربية ثم هاجر إلى الدنمارك في سنة ١٩٨٠ بعد أن أقام سنة في لندن لم يطب له العيش فيها، إنه نموذج للمهاجر العربي المسلم الذي يحظى بإحترام وسط الجاليات العربية والإسلامية في الدنمارك والسويد وكذلك السلطات الدنماركية والسويدية لما له من جهود كبيرة في المجالات الثقافية والإجتماعية والإقتصادية أو مجال الأعمال الحرة، توثقت علاقتي به بحكم ترددي على دول أسكندنافيا وساهمت معه في العديد من الأنشطة الثقافية التي تهدف إلى تعريف شعوب الدول الأسكندنافية بالحضارة العربية والدين الإسلامي الحنيف، عندما جاء إلى الدنمارك وجد ما يشبه التجمع الذي يوحد نوعا ما بعض أفراد الجالية الفلسطينية في مدينة كوبنهاغن، ولكنه لم يجد أية أنشطة أو تجمعات عربية وإسلامية ذات قوة وهدف، كما لاحظ عدم وجود مدارس إسلامية عربية لتعليم أبناء الجالية العربية قواعد الدين الإسلامي واللغة العربية.

تعرف أثناء إقامته في الدنمارك على سيدة أعمال دنماركية مُحبة للعرب والحضارة العربية، اسمها "كريستين فوغة" وتعاوناً معاً في تأسيس أول مدرسة عربية سنة ١٩٨٠ تكون نواة لمركز إسلامي عالمي، وكان أول مديرلها وحصل على مساعدة من رابطة العالم الإسلامي، وجمعية الدعوة الإسلامية بليبيا، وبدأ في تدريس أبناء الجالية العربية، مبادئ الدين الإسلامي وقواعد اللغة العربية والتاريخ إضافة إلى العلوم الأخرى دون أي تحيز لأي إقليم أو وطن عربي، وكان الإقبال على المدرسة كبيراً، كما قامت المدرسة أيضا بتنظيم الندوات والمحاضرات التي كانت تهدف إلى تعريف الدنماركيين مبادئ الدين الاسلامي والعادات والتقاليد العربية، كما قامت أيضا بتنظيم زيارات ورحلات ولقاءات بين أفراد

الجالية العربية وأفراد من الشعب الدنماركي، هدفها الإطلاع المباشر والتعرف على عادات وتقاليد كلا الطرفين.

ثم إمتد نشاطه ليشمل جنوب السويد القريب جداً من الدنمارك، فأسس أول مركز ثقافي عربي في مدينة "مالمو" ثالث أكبر مدينة سويدية وأكبر مدن جنوب السويد، سماه "دار الكتاب العربي"، ثم أسس بعد ذلك "المركز الإستشاري العربي الإسكندنافي" ليكون حلقة وصل ما بين الدول الإسكندنافية والدول العربية في المجالات السياحية والثقافية والتعليم والتجارة وغير ذلك، ثم عمل على تأسيس جمعية الصداقة العربية السويدية.

مما سبق ذكره هو نموذج لمهاجر عربي مسلم، بدأ من الصفر لا ليكّون حياة مستقرة رغدة، بل لينقل الحضارة العربية الإسلامية إلى تلك الأقطار النائية، عانى الحرمان وشظف العيش، أخفق ونجح، ولكن تبقى أسباب الفشل واحدة وهي تناقضاتنا نحن العرب، ذلك الفشل المزمن الذي نحمله معنا، ظن أن الغربة ستوحد آراء المهاجرين العرب وأهدافهم وستجعل من وطن الغربة تلك المدينة العربية الفاضلة التي توحد ولا تفرق، تجمع ولا تشتت، ولكن هيهات.

الجاليات اليهودية في الدول الأسكندنافية هي فقط من بين الجاليات التي حققت أهداف وحدتها وتعاونها وتآزرها، فأصبحت أغنى وأقوى الجاليات رغم قلة عددها، ولقد تبين مدى تأثيرها القوي في وقف بناء المركز الاسلامي في مدينة كوبنهاغن، والذي أراد له مؤسسوه أن يكون مركزً إسلامياً حضارياً يشع منه نور الإسلام قي تلك الأصقاع المظلمة

كانت البداية مشجعة تماما، إذا وهبت الحكومة الدنماركية قطعة أرض كبيرة في قلب العاصمة ووضعت تصاميم المركز ليحاكي المركز الإسلامي في لندن، وخشيت النفوس الخبيثة من أن ينتقل النجاح من على الورق إلى الطبيعة ويكون للمركز في المستقبل تأثير

في إتخاذ القرارات السياسية والاقتصادية، يتمثل في التفاف أفراد الجالية الإسلامية حول مركزهم، والخوف أيضا من إنضمام أعداد كبيرة من الشعب الدنماركي المتعطش إلى الروحانيات للمركز وبالتالي إعتناقه الديانة الإسلامية، لهذه الأسباب، ولتخاذل سفراء الدول الإسلامية كما يقول المهاجرون المسلمون هنا، تراجعت الحكومة الدنماركية عن قرارها بوهب قطعة الأرض لبناء المركز، وزعمت أن الهبة عبارة عن تأجير الأرض لمدة ٩٩ سنة وليس بغرض التملك، لذا فإنه لا يحق للمستأجر أن يقيم أية منشأت ثابتة على أرض مستأجرة! أوليس هذا هو خبث اليهود، أوليست بصمات أصابعهم واضحة جلية في هذه القرارات المفاجئة! أوليس هذا مسلكهم! هذا الكلام أنقله سمعته من بعض أفراد الجالية العربية الإسلامية.

رغم هذا إلا أن هناك الكثير من الدنماركيين الذين يكنون إحترَماً كبيراً للدين الإسلامي مع المصادر النادرة التي إطلعوا عليها لمعرفة تعاليم الاسلام عن قرب، تقول السيدة "كريستين فوغة": إن الدين الإسلامي يخاطب العقل والروح معا، لقد وجدت الكثير من القناعات التي وصلت إليها بعد تجارب عدة طويلة في مسيرة حياتي التي شارفت على السبعين عاما، قد وضع لها الإسلام قواعدها منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة، الإسلام دين الأخلاق والتواضع والإنسانية.

والسيدة كريستين واحدة من أثرياء الدنمارك، تملك واحدة من أكبر شركات إستيراد السيارات بخلاف مجالات الإستثمار الأخرى، ولكنها مع ذلك تقيم في شقة متواضعة وتنفق على قدر حاجتها فقط، تقول لماذا الإسراف، أنا لا أحتاج إلا إلى شقة صغيرة وسيارة صغيرة فقط، وتضيف: لقد فسر لنا الإسلام بطريقة مذهلة حقائق قضينا مئات السنين في الوصول إليها.. إن الاسلام هو دين التوازن العقلي والروحي، لا في الإنسان فقط

بل في الكون بأسره، والسيدة كريستين قارئة ممتازة طافت أرجاء العالم وأقامت فترة طويلة في الولايات المتحدة وتعرفت على الكثير من المذاهب والمعتقدات ورغم غناها الفاحش، إلا أنها تعيش حياة متواضعة بسيطة واحتفظت بالتالي بصحة جيدة رغم أنها في خريف العمر.

هناك في الوقت الحاضر مركز إسلامي واحد هو عبارة عن جامع تقام فيه الصلوات وخاصة صلاة الجمعة ويعرفه كل سائق سيارة أجرة باكستاني أو تركي، والجاليات الباكستانية هي أكثر الجاليات الاسلامية إلتزاماً بتقاليد الدين الإسلامي ومواظبة على إقامة الصلاة في المركز، لذا فإن المركز يُحاط يوم الجمعة بالكثير من سيارات الأجرة التي جاء أصحابها أو العاملين عليها لأداء الصلاة.

ويوجد بالمركز مدرسة إسلامية وغرف لإقامة الدعاة الزائرين وللقائمين عليه نشاط ملحوظ في نشر الدعوة الإسلامية وتعريف الدنماركيين بتعاليم الدين الحنيف، كما توجد بعض الشقق المتفرقة بالعاصمة التي أتخُذت كمساجد لإقامة الصلاة.

عنوان المركز الاسلامي في كوبنهاغن هو:

CENTRAL MOSQUE & CULTURAL CENTRE
2 Horsebakken, 2400 NV.
Tel: 31 80 53 86, 31 60 68 56.

أهم مدن الدنمارك الأخرى

مدينة "آرهوس": ثاني أكبر مدن الدنمارك، تأسست سنة ٩٤٨ ميلادية على عهد الفيكنغ وتقع على مصب نهر حملت اسمه، يبلغ عدد سكانها في الوقت الحاضر حوالي ٢٥٠ ألف نسمة، تأسست جامعتها سنة ١٩٢٨، أفتُتحت سنة ١٩٣٣، وتضم المدينة أعلى نسبة من الطلبة في سائر أنحاء الدنمارك فهي بحق مدينة الطلبة، وعادة ما تشتهر بضعة مدن في دول إسكندنافيا بتخصص معين.

ومدينة آرهوس تشتهر بوجود "الكلية الوطنية الدنماركية للصحافة" و"الكلية التجارية"فيها وهي من التخصصات ذات الجاذبية الفائقة عندهم.

تحتفل المدينة "بكرنفالها" في شهر سبتمبر، إذ أن لكل مدينة موسم أو شهر تقيم فيه "كرنفالها".

تعتبر المدينة أهم ميناء ومركز تجاري بعد العاصمة. أمتع وسيلة للوصول إليها عن طريق القطار الذي ينطلق من محطة القطارات الرئيسية في العاصمة كوبنهاغن ويخترق السهول والمروج الخضر في رحلة ممتعة، ثم بعد ذلك ينقسم القطار إلى قسمين يدخل هذان القسمان جنباً إلى جنب وسط عبارة أو سفينة صممت خصيصاً لنقل القطارات، وهذا النوع من السفن يعتبر قمة الإنجاز البشري في صناعة السفن، ذلك أن الفكرة الأساسية التي بنيت عليها جميع السفن منذ أقدم العصور وحتى يومنا هذا، هي الإتزان أي أن تكون السفينة متزنة في جميع الأحوال، وتقاس عادة الحمولات المضافة إلى السفن بكل دقة ليس فقط لتحتفظ بإتزانها وهي في الميناء، بل أن تبقى متزنة وهي مبحرة وفي جميع الظروف الجوية لتصل بشحنتها سالمة إلى الميناء المقصود، لذا فإن دخول كتلة هائلة كالقطار نسبة إلى حجم السفينة مع ما تحمله هذه الكتلة من وزن في غضون دقائق، هي

عملية بالغة الصعوبة وتحتاج إلى تفريغ كميات هائلة من مياه الإتزان من السفينة في غضون دقائق قليلة، ليس فقط لكي تبقى السفينة في حالة إتزان ولا تميل على أحد جنبيها، بل لكي تبقى قضبان السكة الحديدية التي يتحرك عليها القطار في مستوى أفقي واحد سواء على الرصيف أو في جوف السفينة.

وبحكم عملي بالبحر، وقفت أرقب عملية دخول القطار وأنا واقف على الرصيف بعكس جميع الركاب الذين غادروا القطار إلى صالات الإستراحة ومقاهي السفينة في الطابق العلوي، ثم أبحرت بعد ذلك السفينة في جو هادئ وريح منعشة رغم برودة الجو إلى أن وصلت إلى مرفأ مدينة "آرهوس". لقد جعلوا عملية الإنتقال سواء كانت بالقطارات أو بالسفن، عملية ممتعة للغاية لا يشعر المرء فيها بأية متاعب أو مضايقات بل على العكس من ذلك وهي على كل حال أمور تدر مبالغ طائلة.

صادف وجودي في مدينة آرهوس، إحتفال طلبتها وأولياء أمورهم بنهاية العام الدراسي، وهم يحتفلون به بأن يضع الجميع على رؤوسهم قبعات تشبه قبعات البحارة وربابنة سفن الصيد الدنماركيين إلا أن قبعات الطلبة بيضاء اللون، بينما قبعات البحارة داكنة ربما تعكس تلبد الجو حولهم بالغيوم الداكنة المنذرة بالويل والثبور، فإذا كانت الغيوم الملبدة الداكنة تعني سحائب المزن المثقلة بالخير والنماء عند أهل البر كما ورد في قول الشاعر:

سقى الله نجداً والمقيم بأرضها سحاباً ثقالا خاليات من الرعد

فهي عندنا نحن معشر البحارة، الشر المستطير الذي يتمثل في هبوب عاصفة تجعل من سفننا توابيت حديدية يهوى بها الموج إلى قاع سحيق!

شاهدت كهولا يرتدون قبعات الطلبة هذه، سألت أحدهم إن كان قد إجتاز الإمتحان بنجاح ظنا مني أنه طالب، قهقه الرجل طويلا ثم قال: وهل يوحي لك شكلي بأنني طالب؟ قلت: رغم أن طلب العلم لا يقتصر على عمرمعين، إلا أنني افترضت ذلك من القبعة الي تلبسها، قال: لقد ودعت الدراسة منذ أمد بعيد، ولكنني أشارك الطلبة أفراحهم، إذا أردت أن تفرح هنا فستجد الكثير الذي يشاركك أفراحك، ولكن إذا أردت أن تحزن فسوف تكون وحيدا في حزنك، وأضاف: يا عزيزي! الحياة كالشمعة تشتعل مرة واحدة وعندما تنتهي لن تستطيع أن تعيدها مرة أخرى، فإذا لم تستخدم شمعة حياتك في البحث عن السعادة فإنك لن تجدها أبداً، إنها فلسفة الجعة، فشعب الدنمارك من أكثر شعوب العالم إنتاجاً وإستهلاكاً للجعة بعد الألمان ولهم طقوس في تجرعها وأقداح خاصة مزينة ومزركشة يتناولها الجميع هنا رغم آثارها المدمرة عليهم أطفالا ونساء ورجالا، شيباً وشباباً، فتيان وفتيات، في الطرقات والمقاهي وعلى الأرصفة ولم لا والإعلانات التي تنوء عنها في كل مكان بدءا من إعلانات الشوارع والإذاعة والتلفاز إنتهاء بالمطبوعات السياحية والإعلامية السويديون يطلقون على الدنمارك إسم "مملكة الجعة" نظرا للكميات الهائلة التي تنتجها وتصدرها إلى جميع أنحاء العالم، واذكر مرة أن فريقا دنماركيا لكرة القدم ق لعب عدة مباريات مع فريق دولة عربية إسلامية تحرم الخمور تحريما قاطعا وقد إرتدي لاعبوا الفريق الدنماركي سترات "فانيلات" كتب عليها بالخط العريض إسم أحد أنواع الجعه "البيرة" التي تنتجها الدنمارك، ولقد نقل تلفزيون تلك الدولة المباريات على الهواء مباشرة!!

عودا إلى حديثنا مع ذلك الرجل لقد طرأت – أثناء حديثي معه- فكرة إرتداء "الكاب" أو القبعة ونفذتها على الفور والتف حولي قوم كثير منهم وأخذت أبادلهم التهنئة

فأنست إليهم وأنسوا إلي وأخذت أتبادل معهم الحديث وكان في معظمه عن الدراسة وهمومها.

من مدن الدنمارك الأخرى مدينة "البورغ" وهي أيضا ميناء بحري تقع على بعد ١٠٣ كم شمال غرب مدينة "آرهوس" ومدينة "أودنس" وهي عاصمة المقاطعة التي تحمل اسمها وتقع على نهر يحمل نفس اسم المدينة، تشتهر بتصدير منتجات الألبان واللحوم وصناعة الآلات والمنسوجات والزجاج، تأسست هذه المدينة في القرن العاشر وهي مسقط رأس أديب الدنمارك الكبير "كريستيان أندرسن" ومدينة "راندراس" تقع عند مصب نهر "جودنا" وهي مدينة صناعية وميناء تجاري.

جزيرة غرينلاند وجزر فيرو سقف العالم!!

ما سبق ذكره كان أهم مدن مملكة الدنمارك على ترابها الوطني السياسي، ولكن الدنمارك تلك الدولة الصغيرة في المساحة نسبة إلى باقي دول أوروبا تملك وتدير أراضي أكبر منها بكثير أهم هذه الأراضي هي مجموعة جزر "فيرو" وجزيرة "غرينلاند" العملاقة في المحيط الأطلسي.

تبلغ مساحة جزيرة "غرينلاند" ٢١٧٥٦٠٠كم٢، أي أنها أكبر من مملكة الدنمارك نفسها بـ ٥٢ مرة!!، بينما يبلغ عدد سكان الجزيرة حوالي ٥٥ الف نسمة! لذا فهي أقل كثافة سكانية في العالم إذ تبلغ ٢٪ للكيلو متر المربع. وتقع أكثر من ٧٥٪ من مساحة الجزيرة داخل الدائرة القطبية الشمالية ويغطيها الجليد بأسرها ماعدا مساحة تقدر بحوالي ٣٤١٧٠٠ كيلو متر مربع من المساحة الإجمالية، ويبلغ سمك الجليد حوالي ٣٠٠٠ متر!! أي أن الجليد يرتفع ثلاث آلاف متر عن سطح الأرض، وكان الأحرى بأن تسمى الجزيرة باسم "وايت لاند" بدلا من "غرينلاند" أي الأرض البيضاء بدلا من الأرض الخضراء كما يوحي اسمها باللغة الإنجليزية وإن كان الدنماركيون يطلقون عليها بلغتهم اسم "غرونلاند".

يعيش ٩٠٪ من إجمالي سكان الجزيرة في الجزء الجنوبي الغربي منها أي خارج الدائرة القطبية الشمالية. يبلغ معدل درجة الحرارة في فصل الصيف أثناء النهار في الجنوب ما بين ١٠ – ١٨ درجة مئوية، بينما يتراوح المعدل في الشمال ما بين ٥ – ١٠ درجة مئوية، أما في الشتاء فتصل درجة الحرارة في الجنوب إلى ٢٠ درجة مئوية تحت الصفر وفي الشمال إلى ٥٠ درجة مئوية تحت الصفر!.

تعتبر غرينلاند من الناحية الجيولوجية جزء من الحاجز الكندي، تخترقها عدة أنهار ثلجية أكبرها نهر "همبولد" تنفصل عنها سنويا كتل جليدية ضخمة تتراكم في الفيوردات (الخلجان) الساحلية.

يعتقد بأن أول من قدم إلى غرينلاند وأقام فيها، هم مهاجرون من جزيرة "إليسمير" الكندية التي تقع في أقصى الشمال الغربي منذ خمسة آلاف سنة عندما عبروا المضيق الفاصل بين الجزيرتين والذي كانت تغطيه الثلوج بحثا عن الطرائد مثل الدببة القطبية وثيران المسك وحيوان الرنة والأرانب القطبية وغيرها من الحيوانات، ثم اتجهوا بعد ذلك جنوبا.

سكانها الأوائل هم من الإسكيمو وهي كلمة تعني بلغة أهلها: آكلي اللحم النيئ، إلا أنهم في الوقت الحاضر يفضلون أن يطلق عليهم اسم: إن يويت وهم كما هو معروف قوم من سكان سيبيريا في شمال قارة آسيا عبروا بدورهم مضيق "بيرينغ" الذي يفصل ما بين أقصى شمال شرق قارة آسيا وبين شبه جزيرة ألاسكا التي تقع في قارة أمريكا الشمالية منذ ما يقرب من ٢٥ ألف سنة مضت على أرجح الإفتراضات.

أما أولى المحاولات الأوروبية لإكتشاف الجزيرة فكانت على يد النرويجي "غونبيورن أولغسون" في سنة ٩٠٠ عندما إتجه بسفينته إلى الشواطئ الشرقية للجزيرة ثم إتجه بعد ذلك جنوبا بحثا عن آيسلندا، أما أول من استعمرها وأقام فيها فهو "إريك راوبورفالدسون" النرويجي الذي جاء إليها من ايسلندا والذي لقب فيما بعد باسم "إريك الأحمر"، وأطلق عليها الاسم الذي عرفت به حتى اليوم وهو "غرينلاند" وذلك حتى يكون له وقع حسن لدى الآخرين ويشجعهم على الهجرة إليها لأنها كانت أرضا بلاشعب. وكان ذلك سنة ٩٨٢ ميلادية إلا أن الجزيرة أهملت في القرنين الرابع عشر والخامس عشر وأعُيد إكتشافها في القرن السادس عشر وبدأ إستيطانها الحديث الذي إستمر حتى يومنا هذا في سنة ١٧٢١ على يد المبشر النرويجي "هانس إيجدي"، ثم قام العديد من مكتشفي القطب الشمالي في القرنين التاسع عشر والعشرين بإستكمال إكتشاف غرينلاند خاصة الأجزاء الشمالية منها ورسموا الخرائط لها.

سكانها الأصليون يطلقون على أنفسهم اسم "إن يويت" كما أسلفنا وتعني بلغتهم المحلية الشعب أو الناس، ٨٠٪ من سكانها الحاليين هم "إن يويت" أو هم خليط ما بين إن يويت والدنماركيين، و ٢٠٪ من الأوربيين وغالبيتهم دنماركيين عاصمتهم "نوك" وتقع على الساحل الجنوبي الغربي ويبلغ عدد سكانها حوالي ١٤ ألف نسمة.

يطلق أهل غرينلاند على جزيرتهم اسم "خلاخ ليت نوناهت" وتعني أرض الناس أو الشعب، ورغم الحياة القاسية في غرينلاند، إلا أن أهلها فخورون بها ويعتزون بانتمائهم إليها.

أما اللغة الرسمية فهي "غرينلاندك" وهي نفس اللغة التي يتحدث بها سكان شمال كندا وألاسكا وإن إختلفت اللهجات بإختلاف المكان بعض الشيء، أما اللغة الثانية فهي الدنماركية التي يتحدث بها الجميع.

كانت غرينلاند بمثابة مستعمرة دنماركية قبل عام ١٩٥٣، ثم أصبحت جزءا من الدنمارك على نمط العلاقة التي تربط ألاسكا بالولايات المتحدة الأمريكية. وتتمتع في الوقت الحاضر بالحكم الذاتي وتعتبر الملكة "مارغريت الثانية" ملكة الدنمارك هي رأس الدولة. يدير دفة الإدارة المحلية فيها مجلس وزراء منتخب من قبل البرلمان المسمى "لوغتنغ" الذي يبلغ عدد أعضائه ٢٧ عضو. أهم صادراتها السمك المجمد والملح، كما أنها تتقاضى ما يعادل ٢٠ مليون دولار من أساطيل دول السوق الأوروبية المشتركة التي تصيد في مياهها الإقليمية.

أما جزر "فارو" أو "فيرو" كما يطلق عليها أهلها فهي عبارة عن ١٨ جزيرة وتقع في المحيط الأطلسي بين جزيرة آيسلندا وجزر "شوتلند" الأُسكتلندية وهي جزر بركانية تابعة

للتاج الدنماركي شأنها شأن غرينلاند، إلا أن جزر "فارو" لها علم خاص بها وعملة خاصة بها "الكرونة" وهي خلاف الكرونة الدنماركية.

أول من اكتشفها هو "سانت بريندان" في بداية القرن السادس، ثم أقام فيها في نهاية القرن السادس مجموعة من الرهبان الأيرلنديين، وصلها النرويجيون في بداية القرن التاسع، إنتقلت عليها السيادة من النرويج إلى الدنمارك في عام ١٨١٤، ثم وضعت تحت الحماية البريطانية بعد احتلال الألمان للدنمارك في الحرب العالمية الثانية، حصلت الجزر على الحكم الذاتي سنة ١٩٤٨، تبلغ مساحة الجزر الثمانية عشر ١٣٩٩ كيلو متر مربع وتبعد حوالي ٣٠٠ كيلو متر عن "سكوتلندا" و ٦٠٠ كيلو متر عن النرويج.

أكبر جزُر "فيرو" جزيرة "ستريموي" وتقع فيها العاصمة "تورس هافن"، وجزيرة "استوروي وبوردوي وساندوي وسودوروي". ويبلغ عدد سكانها حوالي ٥٠ ألف نسمة، منهم ١٥ ألف نسمة في العاصمة، و ٥٠٠٠ في ثاني أكبر المدن وهي مدينة "كلاكسفيك"، معظم سكانها من ذوي الأصول القطبية المختلطة مع ذوي الأصول النرويجية الذين وصلوا وأقاموا في الجزيرة إبان عصر الفيكنغ، وقلة من الدنماركيين الذين يقيمون في العاصمة، لغتهم من عائلة اللغات الجرمانية المشتقة من اللغة النرويجية القديمة وهي أقرب ما تكون للغة الآيسلندية.

واللغة الدنماركية هي لغة رسمية، رفض شعب "فارو" الإنضمام إلى السوق الأوروبية المشتركة أسوة بالوطن الام الدنمارك، كما أنهم لا يدفعون الضرائب للحكومة الدنماركية بل على العكس من ذلك فالحكومة الدنماركية تدفع ٦٠٠ مليون كرونه دنماركية، أي ما يعادل ١٠٠ مليون دولار أمريكي سنوياً لحكومة "فارو" . أما أهم صادرات الجزر فهي الأسماك والأصواف والأعلاف.

شد الرحال إلى الشمال...

ليس هناك أسهل ولا أمتع من عملية الإنتقال بين الدنمارك والسويد ليس فقط في وسائل الانتقال والمواصلات المختلفة بل أيضا في اجتياز الاجراءات المتبعة كالجمارك والجوازات وغيرها، فعلى الجانب الدنماركي لا يوجد شيء من هذا على الإطلاق سواء للقادم أو المغادر إلى ومن الدنمارك.

أما أسرع وأسهل وسائل الإنتقال فهي الحافلة البحرية أو الأوتوبيس البحري وهو على نوعين: النوع الأول ويسمى "هايدروفول" ويطلقون عليه عندهم أي باللغة الدنماركية والسويدية اسم "فلوغ بوت" أي القارب الطائر وهو اسم على مسمى وإن كان طيرانه على سطح البحر فقط بفعل السرعة الفائقة، وهو عبارة عن حافلة أو "باص" له أجنحة أو ما يشبه الأجنحة على الجانبين تغمرها المياه وهو واقف على الرصيف وعندما تصل سرعته إلى أقصى مدى يبرز من خلال الأمواج جناحيه ويبدو كأنه ينطلق فوق صفحة الماء مثيرا زبدا كثيرا وأمواجا عالية خلفه.

أما النوع الثاني من الحافلات البحرية فهو ما يسمى بلغة البحر "كاتا مارن" وهو أحدث أنواع السفن، بدأ تطبيقه في سفن الركاب الصغيرة التي هي عبارة عن حافلات لنقل الركاب تستخدم في المسافات القصيرة نسبياً وهو عبارة عن سفينة ركاب تشبه مقصورتها من الداخل مقصورة الطائرة أما جسم السفينة من الخارج فإنه يتكون الجزء الأسفل منه من حافتين متوازيتين وبينهما تجويف لمرور الماء بحيث يعمل الماء المار بين الحافتين على إتزان السفينة وطفوها في جميع الأحوال ومنع إنقلابها مهما كانت الظروف الجوية السائدة، كما تخفف أيضا من عملية المصاباه أو تأرجح السفينة ذات اليمين وذات اليسار بفعل الأمواج وهذا النوع أكبر من النوع الأول وبدأ يأخذ مكانه إلى

درجة أن "الهيدروفول" بدأ يختفي من الخدمة، ويستغرق الإبحار بهذين النوعين من السفن ما بين الدنمارك والسويد حوالي ٤٥ دقيقة.

وتوجد محطة المغادرة في مدين كوبنهاغن، في نهاية المرفأ القديم بحي البحارة، وفي موسم الصيف تغادر سفينة أو حافلة كل نصف ساعة منذ الصباح الباكر حتى بداية اليوم التالي، وتختلف أسعار هذا النوع باختلاف المواسم وعادة ما تكون حوالي ٥ دولارات للرحلة الواحدة ذات الإتجاه الواحد. وعلى مقربة من محطة "فلوغ بوت" أو "كاتاماران" هناك محطة أخرى لنقل الركاب أيضا بين الدنمارك والسويد تقوم بها سفينة ركاب عادية ولكنها بطيئة إذ تستغرق الرحلة ساعة ونصف تقريبا وأسعارها أقل بكثير من أسعار النوعين الأول والثاني إلا أن ميزتها ليست فقط كوسيلة نقل، بل وسيلة من وسائل قضاء الوقت ففيها مطعم ومقهى "كافتيريا" وسوق حرة وقاعة ألعاب للأطفال، وعادة ما يستخدمها الناس أو الركاب لقضاء الوقت والتسلية في رحلة الذهاب والعودة كوبنهاغن لأن الأسعار عموما فيها أقل من السويد، كما تتوفر فيها أنواع من البضائع والخضروات والمواد الغذائية الأخرى لا تتوفر في السويد خاصة بالنسبة للمهاجرين الذين يبحثون عن أصناف معينة من إضافة إلى أن السويديين يستخدمونها لجلب المشروبات الكحولية من الدنمارك، إذ أن المشروبات الكحولية في السويد أغلى منها في الدنمارك كما أنها تباع في محلات حكومية خاصة تفتح في أوقات معينة وتقفل يومي السبت والأحد، بينما في الدنمارك مفتوحة على مدار الساعة.

أما النوع الرابع من وسائل الإتصال بين السويد والدنمارك فهو بواسطة الحافلة "الباص" الذي ينطلق من محطة القطارات بمدينة كوبنهاغن ثم بعد ذلك تنقله عبارة أو سفينة لنقل السيارات والركاب ما بين الدنمارك والسويد وبعد ذلك تصل هذه الحافلة إلى محطة القطارات في مدينة "مالمو "ثالث اكبر مدن السويد وعاصمة الجنوب، وتستغرق هذه الرحلة بالضبط ٩٠ دقيقة وهي تتيح للراكب أيضا فرصة تناول طعام الغداء أو

العشاء في السفينة وشراء بعض الهدايا التذكارية من المحلات الملحقة بها. وهناك حافلة أخرى تنطلق من مطار "كاستروب" بالدنمارك إلى محطة قطارات مدينة "مالمو" وتأخذ نفس مسار الحافلة الأولى ونفس الوقت تقريبا.

أما الوسيلة الخامسة فهي بواسطة "هوفركرافت" وهي عبارة حافلة بحرية تسير بواسطة مراوح كبيرة تدفعها إلى الأمام وضغط هائل يرفعها عن سطح البحر، وتعمل هذه الحافلات ما بين مطار "كاستروب" بالدنمارك ومحطة خاصة في مدينة مالمو تابعة لشركة "ساس" الخطوط الجوية الإسكندنافية، ويستخدم هذه الوسيلة عادة الذين يقصدون جنوب السويد أو مدينة "مالمو" مباشرة وليس لديهم تأشيرة دخول للدنمارك إذ أنها تأخذ المسافر مباشرة من داخل مطار كاستروب إلى مدينة "مالمو" وهذا النوع من أغلى الأنواع إذ إن سعر التذكرة بين المدينتين يعادل سعر التذكرة بواسطة الطائرة وهي وسيلة طويلة وتدخل ضمن الإجراءات الطويلة المتبعة عادة للسفر بين بلدين بواسطة الطائرات.

وهناك أيضا وسلة للإنتقال بين السويد والدنمارك من خلال مدينة "هلسنفور" بالدنمارك و "هلسنبوي" بالسويد وتقعان قبالة بعض في الجانب الغربي ويمكن مشاهدة كلا المدينتين إذ أن المسافة بينهما لا تزيد عن ربع ساعة بواسطة سفن العبارات التي تنقل الركاب والسيارات وتنطلق كل ربع ساعة تقريبا في حركة إزدحام لا مثيل لها، ومن السهل جدا على البلدين إقامة جسر بينهما، إلا أن معارضة نقابة البحارة والنقابات الأخرى هي التي أوقفت العمل بهذا المشروع خوفاً من فقدان أعداد كبيرة من العاملين على هذه السفن أعمالهم.

لقد جربت جميع هذه الوسائل دون إستثناء مئات المرات سواء من خلال إقامتي الطويلة في السويد أو ترددي المتواصل على بلدان الشمال.